على طريق الأصالة :

(٥٠)

أدب المقاومة والجهاد

د/ أنور الجندى

أدب المقاومة والجهاد

على المسلمين أن يراجعوا صفحات جهادهم فى مواجهة طغيان الصليبيين والمغول والاستعمار، ولن يقدر لهم مواجهة الغزوة الصهيونية التى تجثم على صدور المسلمين وحول أعناقهم اليوم فى القدس وفلسطين ما لم يعتصموا بحبل الله جميعاً ويتسلحوا بسلاح العقيدة .

ولن من يراجع تجربة الحروب الصليبية ويحاول أن يقارنها بالغزوة الصهيونية الممتدة اليوم على جبهة العالم الإسلامى منذ أكثر من أربعين عاماً يجد أن المسلمين قد أفادوا من الحروب الصليبية وأنهم يتحولون اليوم إلى الاتجاه الصحيح حين يرون أن الاسلوب الإسلامى فى المقاومة هو الأسلوب الأمثل، وهم يتحولون اليوم تحولا بطيئاً نحو أحكام قبضة العمل المؤثر، ولكن الخطوات التى تمت حتى الآن تكشف عن أن عوامل الإصرار على المقاومة واستعادة الأرض المغتصبة تتصاعد يوماً بعد يوم بالرغم من عوامل الضغط الشديدة التى ترمى إلى توهين قوتهم وقبولهم الواقع والاستسلام أمام المغريات .

والواقع أن ظاهرة المد الإسلامى التى تهز العالم الغربى اليوم هزاً إنما هى ثمرة حقيقية من ثمار ذلك التحول من النفوذ الاستعمارى الغربى الى فكرة الانقضاض على ارض الاسراء بحجة أنها كانت

مقراً لإقامة بعض العناصر قبل أكثر من ألفى سنة .

ولا ريب أن المؤامرات التى تواجه الأمة الإسلامية اليوم تستدعى دراسة فكرة الاستنفار العام لنصر الإسلام ، وقد فرض الإسلام على المسلمين أن يكونوا دائماً على تعبئة وأن سبيل النجاة كامن فى سلوك خط الجهاد بمفهومه الجامع ، لخوض معركة البناء والنصر .

وفى هذا المجال يجب تحرير فكرة الجهاد و العمل على دحض فكرة أن الإسلام يدعو إلى الحرب الدينية من خلال الجهاد، فالإسلام يقرر أن الدعوة إلى الله لا تقوم على أساس مبدأ الهجوم بل على فكرة دفاعية فى الأساس .

فالجهاد فى سبيل الله ليس سبيلا لإدخال الناس فى الإسلام ولا سبيلا لقهر القلوب على قبول الدين الجديد (لا إكراه فى الدين) ولكن الجهاد هو عملية تعبئة فى مواجهة الأخطار التى تتعرض لها الأمة الإسلامية بما يسمى اليوم (القدرة على الردع) .

وهى ترمى لأن يكون المسلمون فى رباط دائم واستنفار مستمر، ويقظة لا تعرف الاسترخاء حيث لا أمن ولا أمان لهذا الوطن الإسلامى إلا فى ظل الإعداد والمرابطة فى الثغور .

* * *

كذلك فإنه يجب التفرقة بين منطق الجهاد من أجل الحقوق المشروعة وبين منطق القوة والإرهاب، الذى هو منطق البغى والقتل والترويع. أما منطق الجهاد فهو منطق الدفاع عن الحقوق الإنسانية التى منحها الله تبارك وتعالى للبشر، واتفقت عليها مواثيق الأمم المتحدة وآخرها إعلان حقوق الإنسان.

ولا ريب أن موقف فرض السيطرة بالقوة على أراضى الغير وترويع أهل الأوطان على المدى القصير هو منطق مؤقت، لا بد أن يسقط مهما كانت الجماهير العزلاء لا تملك من السلاح ما تحرر به أرضها، ولكن عبرة التاريخ تقول:

إن الله تبارك وتعالى أكبر من كل قوة، وأن النصر فى النهاية يعقد لواءه لمن يرفعون راية الحق المشروع، ولإن كانت القوى المعتدية تتمتع بما لديها من القوة العظيمة فإنها لن تمضى مطمئنة لأن الله تبارك وتعالى أذن بإلقاء الرعب فى قلوبهم مهما امتلكوا من قوة غالبة على مقاييس المادة ومصير الحق أن يعلو وإن بدا إنه اليوم يتراجع، ومصير البغى أن يسقط وإن ظهر اليوم أنه يعلو.

. . .

من هنا فنحن فى حاجة إلى تأكيد الهوية الإسلامية لقضية فلسطين إيماناً بأن قضية فلسطين هى قضية إسلامية بالدرجة الأولى

فأرض فلسطين هى أرض الرسالات وهى مسئولية المسلمين فى كل بقاع الأرض ، ولقد عاشت هذه القضية اليوم أكثر من أربعين سنة فى حضانة الفكرة العلمانية ومفاهيم أعداء الإسلام ، وفى الوقت الذى تصدر فيه الصهيونية عن مفهوم العقيدة يختلف المسلمون فى الوجهة ويغلبهم الفكر القومى .

ولا ريب أن تجربة الجزائريين فى الجهاد الإسلامى وتجربة الأفغان اليوم من شأنها أن تضع أمام القضية الفلسطينية الوجهة الصحيحة والمقاييس الصحيحة .

يقول الدكتور فاروق عبد السلام : إن انتصار المسلمين فى جميع معاركهم منذ بعث الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ لم يكن بكثرة الرجال ولا بتفوق السلاح وإنما بصــلاح الرجال وحسن إيمانهم وبتركهم المعاصى ، فقد وعد الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن ينصرها على عدوها وهى أقل منه فى العدد والعتاد ، فإذا تساوينا مع عدونا فى المعاصى والذنوب نصره الله علينا بفارق السلاح ، وتلك كانت نصيحة أبى بكر الصديق لجنوده وقادة معاركه :

آمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوهم ، وإنما ينتصر المسلمون بمعصية عدوهم ، ولولا ذلك لم يكن له بهم قوة ، لأن

عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم . فإذا استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة » .

• • •

ولقد بدأت حركة الجهاد الفلسطينى إسلامية على مفهوم الجهاد ، ثم تراجعت وتعددت شعاراتها ، وبذلك تعقدت الأمور فكان عليهم أن يبحثوا عن مقومات النصر ، بمفهوم الإسلام لتصحيح المسيرة ، وليس فارق السلاح هو القضية ، أو وقوف الدول الكبرى بجانب العدو ، أو تخاذل شأن العرب عن ثوراتهم ، فإذا عدنا إلى مفهوم الإسلام والتمسنا إسلامية الكفاح تبدل الموقف تماما ؛ وانفتح الطريق الصحيح إلى النصر .

إن هناك اليوم هويات اشتراكية وعلمانية وشيوعية وماركسية مع أن العدو يعلنها حرباً دينية يهودية صهيونية توراتية بمفهوم يمتد من النيل إلى الفرات ، فلابد إذن من نقلها إلى حرب دينية مقدسة إسلامية المنهج والهوية ، وقتال فى الله وعلى كتاب الله وسنة رسوله ، ولتكن تجربة الأفغان أسوة حسنة ، فإن أرض فلسطين – كما يقول أحد الدعاة الإسلاميين – لن يحررها إلا جيش مؤمن موحد ، والقدس يفتحها والمسجد يدخله بإذن الله أصحاب الأيدى المتوضئة والدم الطاهر تحت رايات إسلامية محمدية لا بعثية ولا قومية ولا إشتراكية

ولا شيوعية وإنما إسلامية ، إسلامية ، لا شرقية ولا غربية ويالقارات المسلمين » .

ولقد تحدث فى السنوات الأخيرة كثيرون من ذوى النظر الراجح عن ضرورة بروز الهوية الإسلامية للقضية الفلسطينية لكسر هذا الجمود وتحطيم هذا القيد الذى فرضه النفوذ الأجنبى على قضية المسلمين جميعاً حين أطلقوا عليها قضية الشرق الأوسط وحولها إلى قضية غربية بحتة ، وعنه فى أن تعود إلى القضية الفلسطينية هويتها الإسلامية وأن يستشعر العالم الإسلامى مسئوليته الحقة نحو تحرير هذه الأرض المغتصبة .

ولا خلاف اليوم أن الأزمة الحقيقية للأمة الإسلامية التى تحول دون وحدتها ودون قدرتها على تطبيق شرعتها هى سيطرة الصهيونية اليوم على الوجود السياسى والاقتصادى العالمى باتفاقها مع القوتين وهو أخطر امتحان يواجه الأمة الإسلاميه خلال الأربعين سنة الأخيرة والمؤثر الحقيقى لمختلف القضايا والوجهات والتحركات .

. . .

نشرت الهيرالد تربيون منذ أسبوعين تقريراً من مراسلها فى القدس المحتلة (توماس فريدمان) قال :

بدأت الأوساط الاستراتيجية فى إسرائيل من عسكريين وضباط

مخابرات وسياسيين يتابعون بقلق بالغ مخاطر انتصار الأصولية الإسلامية فى لبنان ومصر والأردن والضفة الغربية وقطاع غزة. وأشار إلى قيام تنظيم إسلامى فلسطينى يرفع شعار الجهاد بعده عمليات عنيفة جداً ضد الاحتلال، وهذا التنظيم آخذ فى الانتشار والازدياد.

ويلاحظ المحللون أن الصحوة الإسلامية قد أثمرت (فكرة الجهاد) وهو جهاد ليس مقصوراً على المسلمين إذ يدخل فيه المسيحيون الفلسطينيون الذين احتضنتهم الصحوة الإسلامية وانصهرت مشاعرهم معاً فى هدف واحد هو تحرير الأرض واستعادة الحق».

• • •

وفى تصريح لأبو إياد (صلاح خلف) قال: تعلمنا الجهاد من الإسلاميين، إننا قد عرفنا الإسلاميين على حقيقتهم فى أفواج المقاتلين من الإخوان المسلمين عام ١٩٤٨ فهم الذين أشعرونا أن الواحد منهم يكون خطيباً اليوم شهيداً غداً ونحن تعلمنا الجهاد فى (فتح) من هؤلاء الرجال، وقال إن الإسلاميين قد بدأوا القتال بالفعل فى الأرض المحتلة وبرزوا أكثر بعد عام ١٩٨٢ وهم موجودون فى الأرض المحتلة فى جنوب لبنان، سواء كانوا ستة أو سبعة دون دعاية ومعهم الفلسطينيون من فتح، وقد ساعدنا الإسلاميون واعتبرنا شهداءهم من شهداء الثورة الإسلامية، وكثير

من العمليات التى أطلق عليها إسم (انتحارية) قام بها الإسلاميون فى مختلف الاتجاهات ، إن المقاتلين واجهوا العدو بصرخة (الله أكبر) ولولا هذا الإيمان مااستطعنا الصمود ثلاثة أشهر وما تزال إسرائيل ووجودها فى قلب الأمة الإسلامية هو الخطر الأكبر والمعوق لحركة الأمة الإسلامية نحو وحدتها ونحو تطبيق منهجها وتبليغ رسالتها ، وما يزال يتطلب تعبئة القوى وبناء المقاتلين والمجاهدين وتحويل حركة التحرير من قومية إلى إسلامية تستمد منهجها من الإسلام .

ولا بد من أسلمة الصراع ونقله من مصطلحات الثورية والمراوغة إلى عقدية الإيمان والفداء ، وإذا كانت القضية الفلسطينية هى جوهر الصراع فإن القدس تمثل مركز القلب والمسجد الأقصى هو قلب القدس ومركزها .

قضايا إسلامية (مرحلة جديدة)

كيف نبعث الثقة فى نفوس الشباب المسلم اليوم بإحياء أمجاد الأمة الإسلامية وعقيدتها .

إن السؤال المطروح الآن على الساحة الاسلامية كلها من جزر الملايو إلى الدار البيضاء هو كيف نبعث الثقة وتعمق الإيمان فى نفوس الشباب المسلم اليوم الطامح إلى استعادة مجد أمته والعمل على امتلاك

إرادتها واقتعاد مكانها الحق تحت الشمس ، فى مواجهة هذه الحملات الضخمة المتصلة المتوالية المنوعة التى تواجهه والتى ترمى إلى خلق روح اليأس فى أعماقه والتى تحاول انتقاص منهجه الربانى و تاريخه الحافل ورده إلى احتضان مناهج وافدة والانبهار بحضارة غازية .

والواقع أن تاريخنا الإسلامى حافل بهذه الذخائر من المواقف والوقائع والأحداث التى تكشف عن صدق بيع هؤلاء المسلمين على مدى العصور أنفسهم لله تبارك وتعالى وبذل أغلى ما يملك الإنسان فى سبيل حماية هذا الكيان الإسلامى الذى شاء الله تبارك وتعالى أن يقيمه فى هذا الموقع الخطير من هذا الكوكب وأن يجعل الأجيال مجندة لحمايته موجهة إلى حراسته والرباط فى ثغوره وبذل النفس رخيصة فى سبيل بقائه حتى يستطيع تبليغ رسالته إلى العالمين وإقامة المجتمع الربانى فى الأرض .

ويقدم التاريخ الإسلامى مشاهد خطيرة ومواقف حاسمة لا يمكن أن توجد فى تاريخ أى أمة أخرى ، وقد استمدها المسلمون من سماحة دينهم وما يوصى به من رحمة وعدل وإكرام للإنسان بوصفه إنساناً وبصرف النظر عن دينه ولونه ومجتمعه .

• • •

أولا : كيف استقبل الإسلام فى البلاد المفتوحة :

أول ما يلفت النظر ذلك الفرح الغامر والاستقبال المنقطع النظير لدخول المسلمين إلى بلاد الشام ومصر وإفريقية حيث خلصوا أهل البلاد من عسف الرومان وظلمهم وقسوتهم عندما فتح المسلمون الأبواب لأهل الأمصار لإقامة شعائر دينهم ولم يكرهوهم على أمر من الأمور ، بل رفعوا عنهم الظلم وتركوهم يعيشون حياتهم فى سماحة ويسر ، بل لقد طلب قادة المسلمين إلى رؤساء الأديان الذين كانوا مبعدين أن يعودوا إلى معابدهم وأن يقيموا شعائرهم ، كما حفظوا لهم أموالهم وأعراضهم وأرواحهم ، يقول بريستد فى كتابه فجر الضمير :

« إن المصريين قابلوا الفتح الإسلامى بالفرح الذى جلب إلى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها من قبل ذلك الفتح بقرن من الزمان ، فقد تركهم عمرو بن العاص أحراراً على أن يدفعوا الجزية وكفل لهم إقامة شعائرهم الدينية ، وقد تعهد المسلمون بتوفير الأمن والطمأنينة لكل مواطن وتحقيق العدل والمساواة بين الجميع بعد عصر الظلم الذى كان يعانيه شعب مصر قبل الفتح على يد جماعة البيزنطيين » .

وإن هذه الجزية لم تفرض إلا على القادرين على حمل السلاح وقد أعفى منها النساء والرهبان والأطفال وكبار السن ، فهى ضريبة

دفاعية وهى لم تكن سبباً دافعاً إلى الإسلام ، لأن الرجل إذا أسلم كان يدفع أضعاف هذه الجزية من الزكاة المفروضة على كل أنواع ثروته وماله .

وهذا الذى قوبلت به قوات الفتح الإسلامية فى مصر ، هو ما قوبلت به فى كل هذه المناطق التى دخلها الإسلام والتى كانت تحت سيطرة الرومان ، لم يفرض الإسلام عقيدته ولكنه فرض الأمن والعدل وترك الناس تقبل على الدخول فى دين الله عن عقيدة واقتناع وعلى مدى واسع ليس فيه إلزام بشىء ، ولما رأى المسلمون عدل الإسلام وسماحته دخلوا فيه أفواجاً . وهكذا حرر الإسلام العرب من نفوذ الدولة الرومانية الذى امتد ألف عام منذ غزو الاسكندر الأكبر لمصر والشام وشمال إفريقيا ٣٥٣ ق م .

ثانياً : كيف ألغى الإسلام الرق :

كان الاسترقاق نظاماً أساسياً فى حضارات الإغريق والرومان والفرس والفراعنة ، وقد أكد الفلاسفة الإغريق وفى مقدمتهم أرسطو وأفلاطون ضرورة وجود نظام الاسترقاق وعبودية الإنسان واعتبروه عاملا أساسياً فى حضاراتهم ، وجعلوا السادة فى القمة والعبيد فى السفح لا يجوز للعبد أن يكون سيداً البتة حتى جاء الإسلام فأبطل مختلف أنواع الاسترقاق ما عدا رق الحرب ورق الوراثة ، وذلك جرياً على عادته فى علاج الأمور بالتدرج ، ثم فرض على هذين

النوعين من الرق كثيراً من القيود التى تقضى عليه فى نهاية الأمر ، بل إن القرآن الكريم لم يتعرض لكلمة الاسترقاق أبداً ، وإنما كان قوله :

(فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهن فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء) .

ولقد فتح الإسلام أمام الرقيق أبواب الحرية وأتاح لهم فرصاً كثيرة ، قال تعالى : (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً) وجعل طائفة من الجرائم والأخطاء يكفرها تحرير الأرقاء ، ومنها كفارة القتل الخطأ والحنث فى اليمين وكفارة الظهار .

ثالثاً : كيف غير الإسلام المفاهيم :

وكان أن أنشأ المؤمنين به نشأة جديدة ، غيرت مفاهيمهم التى كانوا عليها فى الجاهلية ، وشكل عقلياتهم بالإسلام والقرآن بحيث أصبحت هناك (العقلية الإسلامية) التى لا صلة لها بالعرق فلم يعد هناك فارسياً ولا تركياً ولا عربياً ، ولكنه مفهوم إسلامى أصيل يرتفع على هذه الأعراق ويستمد قيمه ووجهة نظره من القرآن الكريم ، ونجد فى الخنساء صورة صادقة لهذا المعنى حين كانت قبل الإسلام ترثى أخاها وتقول :

وإن صخراً لتأتم الهداة به   كأنه علم فى رأسه نار

فإذا هى بعد إسلامها تستقبل استشهاد أبنائها الثلاثة بالرضى والإيمان ولا تسأل إلا عن شيء واحد : هل طعنوا فى صدورهم أم فى ظهورهم فلما عرفت أنهم طعنوا فى صدورهم حمدت الله وقالت : الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم .

وهذا المعنى واضح تماماً بالنسبة لكل أبناء الأعراق المختلفة الذين أعزوا اللغة العربية عن لغاتهم لأنها لغة القرآن وكرموا وجهة نظر الإسلام فى كل أمورهم وقضاياهم .

ذلك إن العقيدة الإسلامية تجمع المسلمين جميعاً على خلاف اللغة واللون والسلالة والعرق ، فهى التى شكلت الوجدان المسلم والعقل المسلم ، فلها السيادة على مختلف العناصر والأعراق .

رابعاً : نقل العرب من طور القبيلة إلى طور الأمة .

كذلك فإن الإسلام هو الذى نقل العرب من طور القبيلة إلى طور الأمة ، ولم يكتف بذلك بل جعل هذه الأمة الجديدة قائدة للبشرية كلها تحمل إليها منهج الله تبارك وتعالى وترسم لها خطوات العمل والحياة ذلك أن الاسلام (على حد تعبير دكتور عبد القادر طاهر) هو الذى منح العرب وجودهم القومى والسياسى والدولى ، بل هو الذى منحهم وجودهم الإنسانى ، فقدكانوا قبل ذلك هملا فى التاريخ لا ذكر لهم ولا أثر ، فالاسلام هو الذى صنع وجود العرب

وجعلهم أمة ذات مكانة وسيادة وذات رسالة وحضارة .

ولم يكن الإسلام – كما يدعى بعض المغرضين – مجرد عنصر من عناصر الوجود العربى ، ولم يكن نتاج العبقرية العربية بل هو صانع هذه العبقرية وموجدها .

كذلك فلا يمكن اعتبار الإسلام مجرد دين فردى كما هو الحال فى بعض النظم الدينية والطقوس الكهنوتية التى شاعت فى الغرب حتى يصير مجرد عنصر من عناصر تكوين الأمة فالإسلام دين ومنهج حياة يختلف بذلك عن كل دين ، وقد اتسع لكل جوانب الحياة فى هذه البلاد واحتواها ، وهو ليس دين عبادة ولا من الماضى الذى يمكن أن يندثر .

خامساً : النصر بالعدد الأقل :

كان من أعظم معطيات الإسلام (قانون النصر) الذى قدمه القرآن الكريم داعياً إلى بيع الأنفس والأموال فى سبيل نصرة الدين ، والثبات فى مواقع الخطر ، ووعد الله المسلمين أن ينصرهم بالعدد الأقل ، وفى كل المواقع الكبرى كان المسلمون أقل عدداً من عدوهم ، فى أجنادين والقادسية والزلاقة وسائر المواقع ، ولكنهم كانوا قد باعوا أرواحهم فى سبيل نصرة الحق ،لهم فى ليلهم دوى كدوى النحل بالقرآن وكانوا فرساناً بالنهار رهباناً بالليل .

قال أحدهم لملك فارس : إن الله قد ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد القهار ، ولما وصلوا إلى حدود الصين قال هبيرة لحاكمها : كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيلة فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ، وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا وغزاك ، أماتخويفك لنا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه ،

وليس أدل على صدق الإيمان من صاحب النقب الذى فتح الثغرة فى معركة دمشق ورفض أن يعلن اسمه ، مؤمناً بأن الجزاء الأوفى هو جزاء الله تبارك وتعالى .

ولقد آمن المسلمون بالثبات فى وجه العدو .

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) .

وكانوا على وعى كامل بعدوهم وفى يقظة تامة فى سبيل حماية الثغور والذود عنها ، وقد ظلت خطوط المواجهة بين أرض الإسلام وأرض الروم تشتعل بالمعارك على مدى تاريخ طويل لم تتوقف ، وظل المسلمون يرابطون على جوانب البحر الأبيض المتوسط من طرطوس فى أطراف الشام إلى الرباط فى المغرب حيث بنى المسلمون ألف رباط كانوا يتداولونها صيفاً وشتاء فى مواجهة زحف العدو من موانى الغرب .

سادساً : السماحة مع العدو بعد النصر :

وكان المسلمون سماحاً مع أعدائهم فقد عفى صلاح الدين عن الصليبيين وأخرجهم من بيت المقدس حاملين متاعهم وأموالهم وقال له بعض العلماء : إن الصليبيين قتلوا أكثر من ستين ألف من المسلمين عندما دخلوا بيت المقدس ، فأبى أن يعاملهم بالمثل وقال : إن ديننا يأبى علينا الانتقام ، ولما أعرض عنهم أهلهم استدعى أصحاب المراكب الأوربيين واتفق معهم على نقلهم إلى بلادهم .

سابعاً : العدل الذى لا يعرف الهوى :

ولقدكان المسلمون يؤمنون بالعدل الذى لايعرف الهوى ، وكان قضاة المسلمين عدولا لا يخافون فى الحق لومة لائم ، ويحكمون على الأمراء إذا ظلموا .

ولعل أخطر ما فى هذه المواقف من صور ، صورة القاضى المسلم الذى حكم بخروج الجيش الاسلامى من سمرقند لأن القادة لم يعلنوها بذلك قبل الغزو حسبما تقرر قواعدالحرب فى الاسلام .

فقد فتح (ابن قتيبة) سمرقند دون أن يؤذن أهلها ، وهذا أمر تأباه تعاليم الاسـلام ، ذلك أن الله تبارك وتعالى يقول مخاطبا نبيه الكريم فى شئون الحرب والمعاهدات : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) الأنفال .

ومفاد هذه الآية أنه إذا كان بين المسلمين وقوم آخرين عهد وخشى المسلمون عدم وفائهم به فلهم الحق فى رد عهدهم إليهم ولا يبادرونهم بالحرب وهم على توهم بقاء العهد لأن ذلك يكون خيانة فى نظر الإسلام .

والذى فعله قتيبة من أهل سمرقند كان من هذا القبيل وقبله أهلها على مضض خشية أن ينكل بهم فلما مات وآلت الخلافة إلى عمر ابن عبد العزيز عام ٩٩ هجرية ، وبلغ أهل سمرقند عنه ما ملأ أطراف الدولة وجوانبها من عدله ونصرته للحق ووفائه وبغضه للظلم ، أنابوا عنهم وفداً يلقى الخليفة يشكوا له ما كان من قتيبة معهم : قالوا للخليفة إن قتيبة غدر بنا ظلماً وأخذ بلادنا .

وكتب الخليفة إلى سليمان بن أبى السرح عامله على سمرقند كتاباً قال فيه : إن أهل سمرقند شكوا ظلماً أصابهم وتحاملا من قتيبة عليهم فإذا أتاك كتابى هذا فاجلس لهم قاضياً يقضى بالحق فى هذه الظلامة .

واستمع (جميع بن حاضر التاجى) قاضى سمرقند إلى ظلامتهم واستدعى شهودهم ثم استدعى شهوداً من الجيش الذى حضر الموقعة فشهدوا بالحق بأن ابن قتيبة لم ينبذ إليهم عهدهم بل فاجأهم بفتح بلادهم عنوة ، وهنا أصدر القاضى حكمه بأن على الجيش الإسلامى الذى فتح سمرقند أن يتأهب للخروج منها فوراً . وكذلك يخرج المسلمون الذين دخلوها بعد الفتح ، وبعد أن يتم هذا ينابذ الجيش

أهل سمرقند على سواء (أى يرد عليهم عهدهم السابق مع سعيد بن عثمان) فإما صلح إذا أرادوا وإما حرب إذا لم يختاروا الصلح .

وكان للحكم رجة فى أنحاء سمرقند إذ ما كان يتصور أحداً أن تعاليم الإسلام تمضى على هذا النحو وتعطى للقاضى الحق فى أن يأمر الجيش بالخروج من بلد فتحه واستقر فيه ، ولما تقرر خروج المسلمين جاء وفد من أهل سمرقند وأعلنوا أنهم تشاوروا فيما بينهم وأمام حسن المعاملة لا يسعهم إلا أن يعلنوا تنازلهم عن حقهم والمطالبة ببقاء الحال على ما هو عليه .

هذا هو الإسلام يا شباب الإسلام (للحديث صلة) .

(مسلم)

(رقم الإيداع / ٨٣٦٨ / ٩٠)